ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

أناشيد الطف عند الشاعر شاكر الغزي (مسلّة الأرجوان) انموذجا

Anashid Al-Taf by Shaker Al-Ghazi

(The Purple Obelisk) Example

م. د. جابر حسين جبر

jjh60431@gmai.com

تاريخ استلام البحث: 3 / 7 / 2025 **تاريخ قبول البحث: 1 / 9 / 2025**

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الملخص

لم تكن معركة الطف بصورها المأساوية المؤلمة، والبطولة المشرقة حدثاً عابراً يمكن تجاوزه، أو أن يطويه النسيان والاهمال كغيره من الحوادث التاريخية العابرة، بل هو فعل متجدد ذي ديناميكية فعّالة خلاّقة يستمد منه الشعراء الى يومنا هذا صور البطولة والبسالة، والحرية والتحرر، والثبات على العقيدة، ومواجهة الطغيان، فضلاً عن الجوانب الانسانية المضيئة التي طبعت هذه المعركة على الرغم ما فيها من مأساة عظيمة، ومصاب فادح لحق بآل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) متمثلاً بقتل الامام الحسين(عليه السلام) واستشهاده مع أهل بيته وأصحابه، فكان لهذا الدم وهذه الفاجعة أثر عظيم في نفوس الشعراء، يجددون ذكراها، ويلونون قصائدهم وأشعارهم بصورها وأخلاقياتها.

الكلمات المفتاحية: أناشيد الطف، مسلّة الأرجوان، شاكر الغزي

Abstract

The battle of Tuff with its tragic and painful forms, and bright heroism was not a transient event that can be overcome, or folded by oblivion and neglect like other transient historical incidents, but rather it is renewed act with an effective creative dynamic from which poets derive to this day images of heroism and valor, freedom and liberation, stability on faith, and confronting tyranny, as well as the light human aspects that marked this battle despite its great tragedy, and fatal injury to the family of the Messenger of Allah (may God bless him and his family and grant him peace). Represented by the killing of Imam Hussein (peace be upon him) and his martyrdom with his family and companions, this blood and this tragedy had great impact on the hearts of poets, renewing its memory, and coloring their poems with their images and ethics.

Keywords: Tuff songs - purple obelisk - Shaker Al-Ghazzi

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المقدمة

تقع فاعلية الانشاد الشعري بوصفه نتاجاً أدبياً خطابياً مقصوداً في خلق تواصل وتفاعل بين بنية النص ومتلقيه، فهو يتضمن "سياقاً أو ألحاناً إنشادية تحقق استجابة فائقة للنص"[1] ، ولا نقصد هنا الانشاد الشفوي المباشر، بل طريقة الشاعر في الكتابة المنتجة للنص وصيغها الخطابية في التعبير عن المعنى، ونقل الصورة الشعرية بسلاسة ومحاكاة للحدث الشعري والتفاعل معها والاندماج بها، وبما يحقق الاتصال الشعوري والتأثر النفسي المباشر[2].

والأناشيد لغة: من : "نَشَدَ فلانٌ نَشْداً ونِشْدانا: تذكّر، يقال: نشدتهُ بما عاهدني عليه فَنَشَد، والضالةُ: طلبها وسأل عنها، ونشدتُهُ فأنشدني وأنشدَ لي الشعرَ: قرأه رافعاً به صوته، وتناشدوا الأشعار: أنشدها بعضهم بعضاً، والأنشودة: الشعر المتناشد بين القوم ينشده بعضهم بعضاً وقطعة من الشعر من ينشدها القوم على إيقاع واحد، والأنشودة: قطعة من الشعر او الزجل في موضوع حماسي او وطني تنشده جماعة والجمع: أناشيد"[3].

وفي الاصطلاح فإن الانشاد هو خطاب شعري يظهر "قيمة الجرس الصوتي للكلام، ويؤكد على الميزات الصوتية للشعر، وإنه في الوقت نفسه يساعد على جيء الصورة البصرية الملاصقة للصورة السمعية، بميزات تعبيرية جديدة للصوت تساعد على إظهار قيمة الصورة السمعية والبصرية، فهو كلمات وموسيقى وايقاع طوّعت جميعها للشعر، وعالم الكلمات، وعالم تعبيري صغير اذا ما قيس بالعالم الأوسع اللغة"[4].

([1]) تفاعلية الانشاد والاستماع في تلقي الشعر العربي القديم، سعيد حسون حسين، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، مجلد15، العدد 2، 2018م: 562.

([2]) الخطاب في الانشودة الشعرية المعاصرة، عزام ابراهيم الحسيني، دار الفرات، ط1، دمشق، 2006م: 13.

([3]) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2008م:و921، مادة: نَشَدَ.

([4]) شعرية الانشاد عند محمود درويش، عبادشي فوزية، رسالة ماجستير، جامعة حسيبة بن بو علي، الجزائر، 2008-2009م: 1.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وشاعر الأناشيد (شاكر الغزي) هو: شاكر ريكان الغزي، شاعر عراقي معاصر من مواليد(1978)، من محافظة ذي قار– قضاء البطحاء جنوب العراق وبها نشأ وأكمل دراسته، وانطلقت موهبته الشعرية عام(1997م) وصدرت له أول مجموعة شعرية عام(2010م) بعنوان(نبوءات هدهد بلقيس) ثم استمر نتاجه الشعري بعد ذلك، وشارك بالعديد من المهرجانات الشعرية محلياً وعربياً، ونال جوائز عدّة، ومازال على قيد الحياة ومستمراً بنتاجه الأدبي والشعري[1].

وفي مجموعته الشعرية(مسلّة الأرجوان) يأخذنا الشاعر(شاكر الغزي) وعبر أناشيد مسلّته الأرجوانية الى أحداث معركة الطف الخالدة ناهلاً منها –كغيره من الشعراء– تلك الجوانب الانسانية المضيئة التي جسدها الإمام الحسين وأهله وأنصاره، ومُظهراً في الوقت ذاته النزوع والشرور البشري في التعدي على الكيان الانساني قتلاً وفتكاً دون رادع من ضمير او شعور، ولاسيما مع شخصية مقدسة كشخصية الامام الحسين(عليه السلام) وهو ابن بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) والكيفية التي قتل فيها، والتي لم يسلم من فتكها حتى النساء والشيوخ والأطفال من أهله وأصحابه، إذ يأخذنا الشاعر(شاكر الغزي) إنساناً وشاعراً وعبر لغة رقيقة حزينة الى استذكار ذلك الدم البريء النقي الطاهر الأرجواني المسفوك ظلماً وعدواناً، وتخليده في مسلّته التي تأبى الاندثار او النسيان، وعبر هذا البحث الموسوم بـ (أناشيد الطف في مسلة الأرجوان) ستختص الدراسة هذه بإظهار الجوانب البطولية والانسانية لمعركة الطف وكيفية تناولها بنزوع انساني محض في المجموعة الشعرية(مسلّة الأرجوان) للشاعر(شاكر الغزي) على وفق مبحثين اثنين استلهما الباحث في التمهيد لمعنى الانشودة والانشاد في الشعر، وترجمة موجزة لحياة الشاعر ونتاجه الشعري، وقد خصص المبحث الأول للحديث عن موضوعة المرجعيات الدينية في (مسلّة الأرجوان) وأثرها في التوجه الخطابي وقصديته في مجموعته الشعرية، أما المبحث الثاني فتناول الباحث فيه أثر المرجعيات الشعبية في هذه المجموعة الشعرية، ثم تلت هذين المبحثين خاتمة بنتائج البحث التي توصل اليها الباحث.

([1]) ينظر: البنى الاسلوبية في (مسلّة الأرجوان) للشاعر شاكر الغزي، كريمة نوماس المدني وعباس عبد الحميد عدنان، مجلة دواة، م6، ع23، السنة السادسة، 2020م: 45–46.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المبحث الأول

المرجعيات الدينية

يشكل الموروث الديني، ولاسيما في نصه المقدس بالقرآن الكريم مرجعاً ثقافياً مهماً في تجارب الشعراء وخيالهم، فهي "مزيج مركب بين الثقافة والمرجعية والتي تعني استقدام او استخدام إحدى الروافد الثقافية وتوظيفها في نص نثراً او شعراً ما،... فتترك في نصه او عمله الفني جمالية تحسب له... ويجعله اكثر بلاغة وجزالة وقوة في الأسلوب واللغة، كما تضفي عليه لمسة ثقافية متميزة"[1].

فحضور المرجعية الدينية في النص الشعري تعزز خطابه وتقوي دلالته، فالقرآن الكريم والحديث النبوي وأحاديث الأئمة المعصومين وغيرها اقتباساً وتضميناً او إشارة إنما هي "منطلقاً من أن لهذه التوظيفات قيمة إبداعية جمالية، ممثلة في هيمنة التشكلات النصية الدينية على جوانب من نصوص المبدع، وأخرى دلالية يستهدف بها دعم فكرته التي بنى نصه عليها وتقويتها"[2].

والشاعر شاكر الغزي مدفوعاً ببيئته الجنوبية الحزينة بطابعها الوجداني واعتقاده الديني المذهبي تشكلت في داخله الطف وكربلاء خطاً عميقاً من الحزن الذي لا يمحى بعد ان تشكلت فيه تلك التركيبة الممزوجة بين حزن الجنوب العراقي، وسرمدية الحزن على مقتل الامام الحسين(عليه السلام) والطريقة الوحشية التي قتل فيها، فكان لإظهار قيمة التضحية والبطولة والفداء مع امتداداتها ومركزيتها عند الامام الحسين(عليه السلام)، وهو ابن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وأحد الأئمة المعصومين الأطهار(عليه السلام)، وعلى وفق وظيفته الدينية التي هي امتداد للقرآن الكريم وللرسالة النبوية في مسلّة الأرجوان الهدف الأسمى والأكثر اعتماماً، ولاسيما مع تداخل النص الديني مع شخصية دينية مقدسة متمثلة في الامام الحسين(عليه السلام)، إذ كانت المرجعيات الدينية عند الشاعر الغزي سياقات متداخلة ما بين النصوصي المقدس والوظيفة الدينية المقدسة يعضد بعضها بعضاً وصولاً لمركزية الحزن في أناشيد الطف، وإظهاراً لمظلومية

([1]) المرجعيات الدينية في شعر رابعة العدوية، حسين كنعان غالب، مجلة ديالى للبحوث الانسانية، المجلد3، العدد 100، 2024م: 82-83.

([2]) المرجعيات الدينية في شعر علي الفتال دراسة بلاغية، سرمد محمد بكر السعدي، رسالة ماجستير، جامعة كربلاء، 2024م: 25.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الطف ورجالها في كربلاء وبما يزيد النص الشعري تكاملاً وتوحداً موضوعياً وفنياً، ويزده جمالاً وابداعاً وبلاغة، دافعاً بالخيال لربط الصور المتوهجة في النص بانساقها المرجعية وتكوين دلالة جمالية ذهنية تكشف عن حجم البطولة والفداء والتضحية عند الامام الحسين(عليه السلام) وتكوينه الديني وظيفة ونسباً وانتماءً.

ففي نصه الموسوم بـ (نشيد الاستشهاد) يطلق الغزي وجدانه مترنماً بإيمان الشهيد بهدفه الديني وأنه المصلح في أمة جده رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، ولو كان ذلك على حساب حياته وجسده المقدس في قوله(عليه السلام): (مَن كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا)، متخذاً من القرآن الكريم مرجعاً دينياً لنصه هذا في اشارته لسورة الأعلى، إذ قال[1]:

مستوحشاً دربَ الرحيلِ

فأَهْلُهُ يتناثرون مع الرياح

هباءَ

فاختار يوقدُ روحَهُ للسالكينَ

بها الدروبَ الموحشاتِ أضاءَ

واختارَ سنسخُ سُورةَ الأعلى

فطأطأتْ الرماحُ رؤوسها الشّمَاءَ

يتخذ الشاعر من الإشارة الى اسم سورة (الأعلى) مرجعاً نسقياً دينياً دون التصريح بإحدى آياتها، فالإشارة والتلميح يحتجان الى "نظام استدلالي خاص يتحقق من خلال الوقوف على المعنى المقامي، إذ لابد من محيط خارجي يشتمل على المعنى اللغوي ويؤثر فيه، وهو سياق الحال والأنظار الخارجية والقرائن وغير ذلك ممّا يؤثر في تشكيل المعنى، وهذه الأمور جميعاً تحتاج الى معرفة مشتركة بين طرفي الخطاب"[2].

([1]) مسلّة الأرجوان، شاكر الغزي، العارف للمطبوعات، ط1، بيروت، 2013م: 142-143.

([2]) التواصل الاشاري الابلاغي في التراث البلاغي العربي الجذور والامتدادات، هناء عبد الرضا رحيم الربيعي، مجلة العلامة، مجلد5، عدد 2، 2020م: 9.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وعلى وفق هذا اختار الشاعر اسم سورة الأعلى بوصفها مرجعاً سياقياً لإظهار الفلسفة الحسينية في الرحيل الى كربلاء واستشهاده فيها مؤمناً بواجبه وقدره، ومحتسباً أجر ذلك عند الله، فسورة الأعلى بآياتها تحمل في دلالاتها معاني قدرة الله عز وجل، ودلائل آياته الاعجازية في الكون التي توجب الايمان به والتسبيح باسمه الأعلى، ففيها "أمر بتوحيده تعالى على ما يليق بساحته المقدسة وتنزيه ذاته المتعالية من أن يذكر مع اسمه غيره او يسند الى غيره ما يجب أن يسند اليه كالخلق والتدبير والرزق، ووعد له صلى الله عليه وسلم بتأييده بالعلم والحفظ وتمكينه من الطريقة التي هي أسهل وأيسر للتبليغ وأنسب للدعوة"[1].

وعلى وفق هذا أقام الشاعر في نصه الربط الخطابي في قصديته ما بين وجوب الايمان بالله سبحانه وتعالى عبر آياته المعجزة التي جاءت في السورة، ومن ثم طاعته المطلقة، وبين وجوب الايمان بالإمام الحسين(عليه السلام) وقضيته التي خرج اليها في سبيل نصرة دين الله والخضوع لها، فضلاً عن قيمة الترابط الروحي التي تفسر تلك التضحية العالية، وتقديم النفس والأهل والأصحاب في سبيلها عبر مفردات(مستوحشاً، وأهله يتناثرون، واختار يوقد روحه، واختار ينسخ سورة الأعلى)، فهذه كلها إرادات اختيارية أطرّت مشهد الطف والرحيل اليها، استدعت معها الشاعر أن يتغنى بها نشيد بطولة وفداء وتضحية، يغلفها بوجدانية عالية واتساق مرجعي، ليحدث أكبر قدر من التأثير العاطفي لدى المتلقي او القارئ، ومن ثم يعيد رسم مشهد الرحيل الى الطف ومعركة كربلاء وقد استمدا طاقاتها الروحية من القرآن الكريم ونصوصه المقدسة.

وفي قصيدته الموسومة بـ (كهيعص) نجد النص القرآني ماثلاً في مرجعياته السياقية والنصية الثقافية، إذ قال فيه الشاعر[2]:

كافُ الكروبِ بلائهِ... تتكربلُ

وبيائه... أمُّ الكتاب تُبَسْمَلُ

وبنونه... هاءُ الهلاكِ تمرَّسَتْ

([1]) الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الاعلى للمطبوعات، بيروت: 1417هـ: 263/20.

([2]) مسلة الأرجوان: 11-12.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

أدنى الذي فعلتهُ... ما لا يُفْعلُ

وثلاثُ ياءاتٍ...

يزيدُ يُخُطُّها بالموبقاتِ:

يُبيحُ، يَهْدَمُ، يَقْتُلُ

عَطَشاً... فثغرُ اللهِ تنكثُهُ العصا

وعيونُ آلِ اللهِ منها تُسْمَلُ

.....

جسداً تُبضِّعُهُ السيوفُ...

فتُرْفَعُ الأيدي...

عسى قربانها يُتَقَبَّلُ

يتخذ الشاعر من حروف فاتحة سورة الكهف(كهيعص) عنواناً مرجعياً دينياً يضيء به نصه الشعري هذا في ذكر واقعة الطف وأحداث كربلاء المؤلمة المفجعة، إذ ارتبطت هذه الحروف بالفكر الإمامي بذكر الحسين(عليه السلام) "فالكاف اسم كربلاء، والعين عطشه، والصاد صبره" [1]، ثم يتخذ الشاعر من تبضيع الحروف ومنحها الدلالات المناسبة المحاكية للواقعة وضعاً مشابهاً لتأويل حروف فاتحة سورة الكهف في دلالات حروف الكاف على كربلاء ومصائبها، ودلالة حرف الباء على البسملة، ودلالة الهاء على الهلاك، والياء على أفعال يزيد المشينة في (يبيح، ويهدم، ويقتل) ، ولهذا التبضيع في فاتحة سورة الكهف للحروف، وما اتخذه الشاعر فيها من دلالات تبضيعية خاصة ترتكز بؤرة النص ودلالته في الاشارة لتقطيع جسد الامام الحسين(عليه السلام) في المعركة وتبضيعه، فإذا كل قطعة منه هي دلالة بطولة وتضحية، وهي في الوقت ذاته حكاية مأساة ذبيح نصر الله ودينه وشريعة نبيه(ص) حتى غدا ذبيحاً تقطعه السيوف وتدوسه الخيل في صورة عنف دموية مفجعة، وعلى وفق هذا يحدث الاتصال الدلالي عند الشاعر في الربط ما بين المرجعية الامامية في تأويل(كهيعص) بوصفها دلالة نصية مقدسة ومرجعية سياقية دينية مع النص

(1) بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، دار احياء التراث العربي، بيروت، (د.ت): 178/14.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

القرآني في قبول التضحية من ابن بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) في طلبه للإصلاح في أمة جده في قوله تعالى: ﴿واتلُ عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قرّبَا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر. قال لاقتلّنكَ. قال إنّما يتقبّل الله من المتقين﴾ [1]، أو ذلك إشارة لقول السيدة زينب(عليها السلام) عقيلة الطالبيين في قولها: "اللهم تقبّل منا هذا القربان"[2].

فالمرجعية السياقية وحضور النص المقدس فيها تمثل حضور المشترك العقائدي في ذات الشاعر ومحاولة خلق صورة متأولة لفاجعة كربلاء يدركها المتلقي وتحقق عند الاقناع ومن ثم التأثر الروحي والنفسي بها من أجل ديمومتها واستمرارها كجذوة ثورة لا تنطفيء، متحققة بفعل القبول الإلهي لفكرة التضحية في سبيل الله والدين، ولو كانت على حساب الجسد وتقطيعه أوصالاً في مواجهة الظالمين.

وفي قصيدته(بنفسجة الرمل اللّاهب) ، قال الشاعر[3]:

لا ناصرٌ: إلاّ المُهنّدُ

مُذْ رأى إفْرَنْدَهُ

وشيَ الكريهةِ دَبَّجَهْ

إذ أوتدوا للحرب...

إذ يطأُ الرمادَ بأخمصيه

ونارُها مُتأجّجة

فَتلُفُّ أرديةُ الهزيمةِ بعضَها

ويُعمّمُ الخيلَ احمرارُ الإنْسِجَهْ

يجعل الشاعر من ألفاظ العنف والشدة مداراً لنصه هذا، فهو نص تفيض ألفاظه عنفاً وشدة وبأساً في محاولة منه لبيان دلالة قوة الهدف العقائدي عند الامام الحسين(**عليه السلام**) في مواجهته لهذه الحرب الضروس وأعدائه القساة الظالمين فيها، وفي سبيل هذا المعنى وهذه الدلالة يتكئ الشاعر على النص

([1]) سورة المائدة، الآية: 27.

([2]) حياة الامام الحسين(ع) دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ط21، 2008م: 301/2.

([3]) مسلة الأرجوان: 57-58.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الديني في قوله تعالى: ﴿كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله﴾ [1]، إذ يحاول الشاعر عبر هذا التناص الديني إظهار محاولة الأعداء في قهرهم للدين وإطفاء جذوته وترك شريعته السمحاء ووقوف الامام الحسين(عليه السلام) في مواجهة هذا الأمر وبما يمنح الامام الشرعية في إعادة بعث الحياة للإسلام وإطفاء حقد وحرب الخصوم وغايتهم المرتجاة.

ومن تمثلات هذا المط في شعر شاكر الغزي ما حمله نصه الموسوم بـ (قمرٌ آيلٌ للذبول) قال فيه[2]:

هو البدرُ
هالاتُ الدماءِ وشاحُهُ
وأقصى مُنى بدرِ المجرَّةِ
وَصْفُهُ
أضاءَ
فظنَّ الليلُ غيرَ مُعَسْعِسٍ
وصبحُ المنايا
ما تنفّسَ طيفُهُ
يُرتلُ سِفْرَ المستميتينَ ضاحكاً
يُقَفّيهِ من مزمارِ داودَ عَزْفُهُ
فأسكرَ حتى الموتَ من دمٍ يوجهه
فَقَهْقَهَ رَخْوَ العودِ... واختالَ دفَّهُ

يتخذ الشاعر من قوله سبحانه وتعالى: ﴿والليل إذا عسعسَ والصبحِ إذا تنَّفس﴾ [3] مرجعاً نسقياً نصياً دينياً يؤطر به دلالة التضحية التي قومها الامام الحسين(عليه السلام) في معركة الطف، هذه التضحية العظيمة التي خلدت اسمه في سفر الشهادة والبطولة والفداء، لكنّه يتخذ من لفظتي(عسعس وتنفّس) بُعداً آخر مكنياً بهما عن دلالات الظهور والمواجهة لا الخفاء والتواري او التدرج في مناجزة التحدي، ضاحكاً مستبشراً بالموت، مختالاً، فالشهادة عند الامام الحسين(عليه السلام) يقين كالضياء والنور لا يحتاج معه

([1]) سورة المائدة: 64.

([2]) مسلة الأرجوان: 52-53.

([3]) سورة التكوير: 17-18.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الى صراع النفس مع الموت أو حصول تردد في المواجهة التي يُكنى عنها بـ (معسعس، وصبح المنايا)، فهو في تجلٍ تام للموت والتضحية، ساخراً منه، ولعلّ مرد هذا يعود الى ما سكن ذهن الشاعر من صور البسالة والفداء والمواجهة التي غلفت شخصية الامام الحسين(عليه السلام) حتى غدا مثالاً عنده، يستجليه وعيه عبر مسارات ثقافية نسقية تظهره الى سطح النص، وقد عضده بمرجعية نصوصية مقدسة من القرآن الكريم كي يمنحه شرعية المواجهة وقداسة الموقف، ويمنحه جمال الصورة الشعرية ودلالتها الواضحة التي يتلمسها المخاطب عبر ذهنية تراثية استقرت في وعيه فسربها النص، وتأوله وفهم أسراره ومبتغاه.

المبحث الثاني

المرجعيات الشعبية

تُعد المرجعيات الشعبية رافداً مهماً من روافد بناء النص الشعري وتأويله وتفسيره، فهي تظهر بشكل لاواعي ولا شعوري واندفاعاً فطرياً ثقافياً نحو ظاهر النص ومنطقة الشعور فيه، محملة بطاقة دلالية وتعبيرية تمكن المتلقي او القارئ من فهمه واستيعابه، وإدراك مكامن المعنى، وهذا ما يمنح المرجعية الشعبية ولاسيما التراثية منه بُعداً فنياً ودلالياً غير الذي تعارف عليه الآخرون، فتشع منه حياة جديدة، تنبض بالمتعة والإثارة[1].

فالمرجعيات الثقافية بصورة عامة والشعبية بصورة خاصة "تشكل اللبنة الأساس للشعراء، فالأدب بصورة عامة والشعر منه خاصة ثمرة من ثمار الثقافة، ونتاج من نتاجاتها المعرفية والعاطفية، وبهذا يشترك المبدع والمتلقي بالمرجعيات الثقافية الراسخة في ذهن كل منهما"[2].

([1]) ينظر: الصورة الشعرية بين المرجعيات التراثية وحداثة الرؤيا في شعر فاروق شوشة، سوسن رجب بدر، مجلة بحوث العلوم الاسلامية، المجلد 2، العدد 4، 2018م: 278.

([2]) المرجعيات الثقافية الحديثية للشعر الشيعي في العصر العباسي، حسين نعمة بيتي العلياوي وحربي نعيم محمد الشبلي، مجلة الباحث، المجلد 41، العدد 2، 2022م: 583.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

إنّ مرجعيات شعبية من مثل أناشيد الطفولة وحكايا العامة والتراثية والأساطير وغيرها شكّلت ميداناً فسيحاً عند الشاعر شاكر الغزي وهو يبعث أناشيده في مسلّة الأرجوان، إذ شكلت بُعداً لا واعياً اتخذ مسربه في أنساقها، ليعبر عن عمق المأساة الكربلائية من جهة، ومن جهة أخرى يظهر ذلك التداخل والتعايش ما بين تراثه الخاص وهو ابن بيئة الجنوب بسماتها وخصائصها الثقافية، وبين شخصية الامام الحسين(عليه السلام) وفاجعة كربلاء ومأساتها وما أثارته من حزن وألم سرمديين، حتى تعالق كل ذلك في داخل اللاوعي وأصبح أناشيد تظهر شعوريتها المتدفقة في النتاج الشعري دون قصدية خطابية، بل كتأثر فطري وبما يمنح النص بُعداً دلالياً وجمالياً ماتعاً، ويضيء فيه المعنى ليصبح أكثر إشراقاً وإدهاشا .

ففي نصه الشعري الموسوم بـ (من ذكريات الطفولة) يستغل الشاعر الطاقة الكامنة في أناشيد الطفولة كمرجع شعبي يؤطر به الدلالة ذات الطابع الفجائعي المرير، إذ يقول[1]:

ومن الأنين يكادُ يحترقُ اللُّهاثْ

لبيكَ ثأرَ اللهِ

تعلو صرخةٌ

فكأنّما في الطف مازالَ المُحاصرُ

يستغيثُ... ولا يُغاثْ

كُنّا نجيءُ إلى المجالسِ،

لم نكُنْ نبكي،

فأعيننا الصغيرةُ لا تُساقِطُ دُمعاً

إلاّ اعتصاراً،

(1) مسلة الأرجوان: 5-38.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

لم يبقَ شيءٌ من أناشيد الصِّبا

إلاّ مقامٌ

لستُ أدريه: حجازٌ أمْ صَبَا؟

لكنّي

ما زلت أحفظُهُ ولا أنساهْ

ما زلتُ أنشدُهُ:

(أبَدْ واللهِ ما ننسى حسيناه)

يتكئ الشاعر في النص أعلاه على كل ما هو شعبي ليتخذ منهى نسقاً شعورياً يعضد الحزن والمأساة ليبرزا فيه كثيمة أصيلة أراد الشاعر إظهارها بقوة ووضوح، ففي قوله: (لبيك ثأر الله) و(كُنا نجيء الى المجالس) و (أعيننا الصغيرة) و(ما زلت أحفظه ولا أنساه) إشارات واضحة لكل ما هو طفولي شعبي تعايش ثقافياً واجتماعياً مع قضية الطف ومعركة كربلاء والحسرة التي لازمت الناس بعدها، وفي هذا تأكيد على عظم المأساة عند الشاعر، وإظهار أكبر قدر من التعلق والتشارك والحزن، حتى نجد ذروة هذه المرجعية الشعبية في قوله: (أبد والله ما ننسى حسيناه) وهو أهزوجة شعبية معروفة في وسط وجنوب العراق، تقال أيام ذكرى محرم مع كل تجمع ديني، او مجلس حسيني يذاكر مأساة الحسين(عليه السلام)، فهذه الأهزوجة هي ترديد صوتي مطعم بروح الجماعة والثورة، وتعبير عن الاتصال الروحي مع القضية الحسينية التي تتعتق حزناً مع مرور الزمن، وفيها يركز الشاعر على إظهار تلك الدلالات الحزينة التي ملأت قلبه وتداخلت مع شعوره، ففي هذا الجانب وكمرجع شعبي ثقافي تغدو أناشيد وأهازيج الطفولة في الشعر نوعاً من الإشارة الى البناء الروحي الذي تقوم عليه الشخصية، ووسيلة من وسائل التنشئة الاجتماعية التي تغرس في الجذور[1]، ويقوم عودها عليه ايماناً وعقيدة، فضلاً عن دورها في " إبراز الرموز والابطال

(1) ينظر: أناشيد الاطفال في الشعر الفلسطيني من سنة 1920–1984، مرزوق بدوي عبد الله البدوي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2004م: المقدمة: ط.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

والمواقف والاحداث وتعميق الروابط بين الاجيال، وكذلك إثراء المخزون اللغوي والثقافي، والاحساس بالقيم الجمالية والذوق السليم، وتوسيع المعارف الانسانية، والتجارب الحياتية التي تتعلق بواقع المجتمع الذي يعيش فيه"[1].

وفي النمط ذاته يستلهم شاكر الغزي أناشيد التعزية الخاصة بقراءة المجالس الحسينية بوصفها مرجعاً نسقياً شعبياً يظهر عمق التمسك بمبادئ القضية الحسينية والايمان المطلق بها، وإنها جزء لا يتجزأ من شخصيته وشخصية مجتمعه الذي ينتمي إليه، إذ يقول[2]:

ما زلتُ أسمعُ

صوتَ حمزةَ أو وَطَنْ

للآن في أذني...

يُردِّدُ في شَجَنْ

مُذ كنتُ طفلاً عابثاً

ألهو بسيفي

في بيوتات القبيلة

حتى التهاءِ الموتِ بالرِّممِ القليلةْ

سأظلُّ اسمعُ:

(إحنة غير حسين ما عدنه وسيلة)

([1]) في أدب الاطفال، نزار نجار، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1994م: 10.

([2]) مسلة الأرجوان: 39.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

فـ(حمزة) و(وطن) قارئان حسينيان، لازما قضية الحسين(**عليه السلام**) شعبياً واجتماعياً بصوتهما الرخيم العذب الحزين، وأصبحا علامة حزن عند كل محرم، حيث ذكرى مقتل الامام الحسين(**عليه السلام**) في العاشر منه، فهما وعلى وفق هذا متغلغلان داخل روح وجسد كل محب للإمام الحسين(عليه السلام)، ولاسيما في جنوب الحزن، جنوب العراق موطن الشاعر شاكر الغزي، ويتجذران مع كل فرد فيه من الطفولة وحتى المشيب، وهذا ما صرح به الشاعر في انتقاله من مرحلة الطفولة الى مرحلة كتابة النص، إذ قال: (للآن في أذني) و(مذ كنت طفلاً عابثاً ألهو بسيفي)، وبانتقالة ذكية من الشاعر يستمد المرجعية الانشادية بلغتها العامية الدارجة(إحنة غير حسين ما عدنه وسيلة) ليؤطر بها هذا الفارق الزمني بين مرحلتين من عمره في عمق التمسك بالقضية وحزنها السرمدي، جاعلاً من الحكاية الشعبية وأناشيدها المتناقلة في الأسماع مرجعاً يؤكد به ذاته ويمنح الحزن صفة العموم انطلاقاً من داخله الشعوري الحزين المفجوع، وليرسم دلالة شعبية اجتماعية تضيء النص بدلالات التأثر المتجذر في النفس من الطفولة مما يجعل المعنى مكشوفاً أمام المتلقي بسهولة ويسر مع حضور المتعة والدهشة الشعرية والصورية الجمالية.

وفي تمثل آخر يقول الشاعر الغزي متكئاً على المرجعية الشعبية في مجموعته الشعرية[1]:

انثُرْ

رذاذَ الملحِ فوق جراحنا

عَلَّ الجراحَ

تُشِبُّ فينا النارا

عَلّ الضمائر

أن تقومَ من الثرى وتشقَّهُ

فلَقَدْ شَكَتْ إضمارا

(1) مسلة الأرجوان: 131.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ولعلّنا

- والعارُ تغسِلُهُ الدِّما-

أنْ نُرخِصَ الدَّمَ

كي نزيلَ العارا

يركز الشاعر على دعوة الثورة والتغيير المستمدتان من ثورة الطف وموقف الامام الحسين(عليه السلام) البطولي في العاشر من محرم، جاعلاً من هذه الثورة طريقاً نحو الحرية والتحرر ونبذ الظلم ولو كان ذلك بقوة السيف، ولأجل هذا يستمد الشاعر من السياق الشعبي في مصطلح(غسل العار) مرجعية لطلبه بالتغيير والثورة، فـ(غسل العار) عادة لازالت قائمة في مجتمع الشاعر، تقوم على رد الثأر بالقتل دون غيره رداً للعيب والانتقاص الاجتماعي في حال عدم القصاص او الرد، فتغدو مرجعية القصاص في الثأر شعبياً في النص انعكاساً عند الشاعر للإصلاح الاجتماعي كما طالب به الامام الحسين(عليه السلام) ودفع دمه وجسده من أجل هذا الهدف، وبهذا يتوقف المعنى كرسالة تغيير ثورية عنيفة قاسية في النص يتلقاها القارئ دون عسر تأويل أو فهم.

ومن تمثل آخر يتخذ فيه الشاعر من الحكايا الشعبية وأناشيدها الخاصة بواقعة الطف مرجعاً مناسباً لنصوصه، فمن تلك الحكايا الساكنة في الموروث الشعبي وأناشيده، قصة القاسم ابن الحسن(عليه السلام) وما ارتبط بهذه الشخصية من طقوس(عرس القاسم، وصينية القاسم) هذا الفتى الذي قُتل في المعركة وهو في ريعان صباه وشبابه، فكان لهذه الصفة أن لازمت الوجع الشعبي واستقرت في حكاياه وأناشيده الحزينة، إذ قال شاكر الغزي في نصه(أُمّي تبكي على صينية القاسم) [1]:

أُبلِّلُ وجنتيَّ دماً... ودمعاً

إذا أمّي على العرّيسِ تنعى

(1) مسلة الأرجوان: 61-62.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

بمنظوراتِ كاظمَ:

(يُمّه ذكريني من زفَّة شباب)

تمرُّ سرعى

تُوضِّبُ في المحرمِ كلَّ عامٍ

صواني العُرْسِ:

أبخرةً... وشمعا

تدوفُ بدمعها الحنَّاءَ:

(مَحْروم من شَمِّ الهَوَه)

وتضيقُ ذرعاً

يتكئ الشاعر على بؤرة مركزية شعبية عاطفية معروفة في مجتمعه وهي(النعي)، فهو صفة ملازمة لنساء الجنوب الثكلى المفجوعات على مر الزمان بأحبائهن، في المآسي والحروب وأعوام الجوع والقهر، لينقل دلالته من إطارها الشعبي العام الى نصه الشعري محملاً إياه أكبر قدر من مرارة الحزن والموت على مصرع القاسم شهيد الطف الفتى الشاب، وقد عضد هذه الدلالة بمارسخ الذهنية الشعبية الحكائية لأهل الجنوب من عادات وتقاليد وأناشيد تحاكي واقعة الاستشهاد عبر فضاءات(عرس القاسم) و(صينية القاسم) كي يدرك القارئ او المتلقي عمق الفاجعة ويدفعه نحو مشاعر الألم والتفجع، متخيلاً ومتأولاً صورة الفتى موسداً التراب، مقطع الأوصال في موازاة صورة أخرى أقامها المخيال الشعبي له كعرّيس لم يهنأ بشبابه وأيام حياته، وهنا تظهر مركزية الألم وبؤرة الحزن في النص.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الخاتمة

شكّلت المرجعيات الدينية والشعبية أساساً مهماً في تكوين الصورة الشعرية عند الشاعر شاكر الغزي في مجموعته الشعرية (مسلّة الأرجوان)، فعبر هذه المرجعيات أظهر الشاعر حجم مأساة واقعة الطف في أناشيد وجدانية خالصة الحزن والتأسي، متخذاً منها سبيلاً وواسطة لإظهار أكبر قدر من دلالات البطولة والتضحية والوجع المفجع الذي رافق أحداث معركة الطف الخالدة، وهذا ما يقرب النصوص من المتلقي ويمنحها القبول والاقناع ويضفي عليها طابعاً نصوصياً دينياً او شعبياً عبر آليات الانشاد او الحكاية، مما يجعلها سهلة التفسير والتأثير في ذاته وشعوره، وبما يمنح حادثة الطف دوام الاستمرار والخلود.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: الكتب

- بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، دار احياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)
- حياة الامام الحسين(ع) دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ط21، 2008م.
- الخطاب في الانشودة الشعرية المعاصرة، عزام ابراهيم الحسيني، دار الفرات، ط1، دمشق، 2006م
- في أدب الاطفال، نزار نجار، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1994م.
- مسلّة الأرجوان، شاكر الغزي، العارف للمطبوعات، ط1، بيروت، 2013م
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2008م
- الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الاعلى للمطبوعات، بيروت: 1417هـ

ثانياً: الرسائل والاطاريح

- أناشيد الاطفال في الشعر الفلسطيني من سنة 1920–1984، مرزوق بدوي عبد الله البدوي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2004م
- شعرية الانشاد عند محمود درويش، عبادشي فوزية، رسالة ماجستير، جامعة حسيبة بن بو علي، الجزائر، 2008–2009م.
- المرجعيات الدينية في شعر علي الفتال دراسة بلاغية، سرمد محمد بكر السعدي، رسالة ماجستير، جامعة كربلاء، 2024م

ثالثاً: البحوث المنشورة

- البنى الاسلوبية في (مسلّة الأرجوان) للشاعر شاكر الغزي، كريمة نوماس المدني وعباس عبد الحميد عدنان، مجلة دواة، م6، ع23، السنة السادسة، 2020م
- تفاعلية الانشاد والاستماع في تلقي الشعر العربي القديم، سعيد حسون حسين، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، مجلد15، العدد 2، 2018م.
- التواصل الاشاري الابلاغي في التراث البلاغي العربي الجذور والامتدادات، هناء عبد الرضا رحيم الربيعي، مجلة العلامة، مجلد5، عدد 2، 2020م

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

- الصورة الشعرية بين المرجعيات التراثية وحداثة الرؤيا في شعر فاروق شوشة، سوسن رجب بدر، مجلة بحوث العلوم الاسلامية، المجلد 2، العدد 4، 2018م
- المرجعيات الثقافية الحديثية للشعر الشيعي في العصر العباسي، حسين نعمة بيتي العلياوي وحربي نعيم محمد الشبلي، مجلة الباحث، المجلد 41، العدد 2، 2022م
- المرجعيات الدينية في شعر رابعة العدوية، حسين كنعان غالب، مجلة ديالى للبحوث الانسانية، المجلد3، العدد 100، 2024م